



المشهد الختامي

(099) سورة الزلزلة

خطبة جمعة :

2025-06-20

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نضل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

مقدمة:

وبعد فيا أيها الإخوة الأحباب: دعت إدارة مدرسة طلابها لحضور عرض مسرحي، يحكي قصة شقيقة عن صراع بين الخير والشر، بدأ العرض والجميع يتابع بانتباه، وتعقدت القصة وتشابكت خيوطها، طالم مُستعلي بنى عزه على إذلال الناس، غناه على فقرهم، ومظلومون لا يملكون شيئاً من أمرهم، يحاولون جهدهم في تحصيل شيء من حقوقهم ولكن هيهات.

عند ذروة العقدة أو ما يُسمى الحكمة، أُسدل ستار المسرح، ولمشكّل فيني طال الانتظار، لكن أحداً من الحضور لم يبرح مكانه، ولم يخطر له على بال أن العرض قد انتهى، أندرون لماذا؟ لأن الجميع كان ينتظر المشهد الختامي، في المشهد الختامي يتحقق العدل وينتصر المظلومون ويُقضى الظالمون.

حياتنا الدنيا بكل ما فيها هي المشهد الأول من الحكاية والمشهد الختامي في الآخرة:

حياتنا الدنيا بكل ما فيها هي المشهد الأول من الحكاية فقط، والمشهد الختامي هناك في الآخرة، والقصة لا تنتهي بالموت، ومن طمأن أن الموت نهاية فقد حاب وخسر خسراناً مُبيناً، الدنيا كلها بكل ما فيها، مشاهدتها لا تعدو أن تكون الثانية الأولى في رحلة طويلة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا
الْمُضْغَةَ عِطَافًا فَكَسَوْنَا الْعِطَافَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَنَبِّئَنَّكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (15) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ تُنْعَمُونَ (16)

لقد شاء الله تعالى أن يكون عمر الإنسان قصيراً، وأن تكون دورة الحقِّ والباطل أطول من عمره المحدود، فربما رأى هو الفصل الأول من القصة، ورأى أولاده أو أحفاده فصلها الأخير، ومع كل هذا فهناك فصلٌ أخيرٌ لا يراه الإنسان في الدنيا مهما امتدَّت به الحياة، ولكن سيراه جميع الخلائق يوم القيامة، وربما تنقضي الدنيا وهناك فصولٌ من قصص لم تنتهِ، مظلومٌ لم يأخذ ظلامته، وظالمٌ لم يلقِ مصيره، وقائلٌ لم تكتشف جريمته، وخائنٌ لم تظهر للناس خيانتَه، إنها سُنةُ الله في هذه الحياة، أنها ليست دار جزاءٍ وإنما هي دارٌ عمليٍّ وابتلاء.

ولكن شاء الله تعالى أن يُكافئ بعضاً من المُحسنين في الدنيا تشجيعاً للباقيين، وأن يُعاقب بعض المُسيئين في الحياة الدنيا ردعاً للباقيين، وتثبيتاً لعباده المؤمنين، شاء الله تعالى أن يُهلك بعض الطغاة والمجرمين، وأن يؤخّر بعضهم إلى حين، وكل هذا إنما هو دفعةٌ من دفعات الحساب، لكن الترسيد النهائي للحساب مؤجَّلٌ للجميع إلى يوم القيامة.

قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۚ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ فَمَن رَّزَحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ
الْعُرُورُ (185)

(سورة آل عمران)

وليس في الدنيا، الدنيا ليست للأجر، الآخرة هي للأجر.

هَبْ أَنْ إِنْسَانًا قَدَّمَ روحه في سبيل الله، مات في سبيل الله، وأردت أن تُكافئه في الدنيا ماذا ستفعل له؟ تُسمِّي مدرسةً باسمه، مدرسة الشهيد فلان، تضع لوحةً رُخامية أمام قبره هنا يرفد الشهيد الفلاني، وبعدها؟! الدنيا ليست جزاءً.

هَبْ أَنْ طاغيةً قتل مئات الآلاف من البشر، أو ملايين البشر، ثم أوقفته لتُعاقبه بماذا ستُعاقبه؟ هل يوازي قتله فعله؟! لا يوازي ولو أعدمته، أين الحساب؟ (وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وليس في الدنيا، هذه المعاني كلها لخصها المولى جل جلاله فقال مخاطباً نبيّه صلى الله عليه وسلم وهو أحبُّ الخلق إليه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي تَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ (46)

(سورة يونس)

بعضه وليس كله، وقد تراه وقد لا تراه (وَإِنَّمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي تَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ) دون أن ترى مصيرهم (فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ) فإذا كان الله شهيداً على فعلهم فكفى بالله شهيداً.

الله تعالى رحمةً لعباده وتثبيتاً لقلوبهم صوّر لهم المشهد الختامي في قصة الحياة المُتكررة:

أيها الإخوة الأحياء: لكن الله تعالى رحمةً لعباده وتثبيتاً لقلوبهم، صوّر لهم المشهد الختامي في قصة الحياة المُتكررة، قصة المعركة بين الحقِّ والباطل، صوّر لهم مصير الطغاة وكأنهم يرونه بأم أعينهم، فإن فاتهم أن يروا في الدنيا، فلن يفوتهم أن يتبينوا منه، والله تعالى يخبرهم به في قرآنه، قبل أن يشاهدوه بأعينهم يوم القيامة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ وَمَنْ أَمْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَبِثًا (87)

(سورة النساء)

كثيراً ما يرسم القرآن الكريم لنا الفصل الأول في القصة، الذي نشاهده بأعيننا دائماً في كل عصرٍ ومصر، ثم يُحدِّثنا عن المشهد الأخير بعد ذلك، الذي لا نراه في الدنيا، ولكننا حين نقرأ الآيات نشعرُ والله وكأننا نراه.

مثال ذلك ختام سورة المُطَفِّين، إليكم الفصل الأول كما يلي:

في بقعةٍ من أرض الله الواسعة، كان مسرحها يوم أنزل القرآن مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ، إلا أنَّ المشهد هذا يتكرر في كل زمان ومكان، ليس في مَكَّةَ فحسب، وليس في زمان الرسالة فحسب، فالقرآن لكل زمان ومكان، في هذه التُّفعة مجموعةٌ مؤمنةٌ مُستضعفة، تُسام سوء العذاب، تمرُّ بهم مجموعةٌ من المجرمين، فيضحكون من الذين آمنوا، استهزاءً بهم وسخريةً منهم، إمَّا أنهم يضحكون لفقرهم وراثته حالمهم، وإمَّا لضعفهم عن ردِّ الأذى، كان النبي صلى الله عليه وسلم يمرُّ بعَمَّارٍ وبآله فيقول:

{ صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةُ }

(أخرجه الحاكم والطبراني في المعجم الأوسط)

وإِذَا لضعفهم عن ردِّ الأذى، أو أنهم يضحكون لأنهم مُتَرَفِّعين عن سفاهة السفهاء، لأنهم لا يُجيبونهم، كان هذا كله يُبَيِّر الضحك، ضحك الذين أُجْرِمُوا، وهم يَتَّخِذُونَ الْمُؤْمِنِينَ مَادَّةً لِسُخْرِيَتِهِمْ، وَيُسَلِّطُونَ عَلَيْهِمُ الْأَذَى، ثم يضحكون الضَّحْكُ اللَّئِيمُ الوضيع، يغمز بعضهم لبعضٍ بعينه، أو يشير بيده، يأتي بحركةٍ متعارفةٍ بينهم للسُّخْرِيَةِ، وهي حركةٌ وضيعة، تكشف عن سوء الأدب والتجرد من التهذيب، لإيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31)

(سورة المطففين)

بعد ذلك، بعد ما أشيعوا نفوسهم الصغيرة من السُّخْرِيَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ (انْقَلَبُوا فَكِهِينَ) راضين عن أنفسهم، مُتَهَجِّين بما فعلوا، مُسْتَمْتِعِينَ بهذا الشر الصغير الحفير، لم يتلوموا، ولم يندموا، ولم يشعروا بحقارة ما صنعوا وقذارة ما فعلوا، وهذا مُنْتَهَى ما تصل إليه النفس من إسفافٍ ومَوَظٍ للضمير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَصَالُونَ (32)

(سورة المطففين)

وهذه أعجب، فليس أعجب من أن يتحدَّثَ هَٰؤُلَاءِ الْفُجَّارُ المجرمون، عن الهدى والضلال، أكثر ما يُرْعِجُكَ فِي الطُّغَاةِ حينما يتكلمون في المبادئ والقيَم، أكثر ما يُعْطِظُكَ مِنْهُمْ إِذَا تَحَدَّثُوا عَنْ حِفْظِ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَهُمْ يَنْتَهِكُونَهَا فِي كُلِّ لَحْظَةٍ (وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَصَالُونَ) يتحدَّثون عن الضلال والهدى وهم بهذه النفسية المريضة، وفي الحديث الشريف:

{ إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأَوَّلَى: إِذَا لَمْ تَسْتَخِيْ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ }

(أخرجه البخاري)

كيف تحدَّث القرآن الكريم عن هذا الفصل من القصة؟ قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (29) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ (30) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (31) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَصَالُونَ (32) وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (33)

(سورة المطففين)

ولا يخفى عليكم أَنَّ هَذَا التَّصْوِيرَ الْمُفَضَّلَ لمواجه المؤمنين من أذى المشركين فيه بلسم لقلوبنا، فَرُبَّمَا جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ الَّذِي يَصِفُ مُوَاجِعَ أَهْلِهَا الْمُؤْمِنِ، وَهُوَ الَّذِي يَطَّلِعُ عَلَى حَالِكٍ وَعَلَى ضَعْفِكَ، هَذِهِ تَسْلِيَةٌ عَظِيمَةٌ لِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، هُوَ الَّذِي يَصِفُ هَذِهِ الْمَوَاجِعَ، وَهُوَ الَّذِي يَرَاهَا، وَهُوَ الَّذِي لَا يُهْمِلُهَا، وَكَيْفَ يُؤْذِيهِمُ الْمَجْرَمُونَ، وَكَيْفَ يَتَفَكَّهُونَ بِإِلَاهِهِمْ، وَكَيْفَ يَصْفُونَهُمْ بِالضَّلَالِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ...

ألا يكفي أن تعلم أنّ ربّك الذي تعبّده، وتبدّل من أجله كل ما تملك، يرى حالك وضعفك، ويشهد إجرامهم، هذا هو الفصل الأول من القصة، وقد يموت إنسانٌ من هؤلاء المقهورين، أو ربما مات أكثرهم دون أن يروا انتقام الله من هؤلاء، ولكن حسبه أنه يعرف المشهد الختامي، الذي لا يعرفونه ولا يفهمونه، فقد أعمى حُب الدنيا بصرهم وبصيرتهم.

المشهد الختامي:

أليكم المشهد الختامي: اليوم يوم القيامة يوم المحشّر، والخلايقي كلها قد اجتمعت للحساب، ولقد أخذ كلّ مكانه الذي عمل لأجله في الدنيا، ها هم المؤمنون في جنّات النعيم، مُتّكئين على الأرائك قد خُصّصَتْ لهم تكريماً وإجلالاً، وها هم يطيعون على هؤلاء القوم، الذين مرّوا بهم يوماً في الدنيا، فسجّروا منهم، وتغطّرسوا، وتكبّروا، وأظهروا من عُنجهيّتهم ما أظهروا، ثم زادوا الأمر سوءاً، فزوّروا الحقائق، وادّعوا بأنّ هؤلاء ضالون، وأنهم هم المُهتدون، هؤلاء المجرمون اليوم محجوبون عن ربّهم، يُقاسون ألم هذا الجحّاب، تُهدّر معه إنسانيتهم، فيتصلون الجحيم مع التّأنيب حين يُقال لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ (17)

(سورة المطففين)

كيف صوّر القرآن المشهد الختامي؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (35) هَلْ تُؤْتَوْنَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (36)

(سورة المطففين)

وليس لعاقِل بعدها إلا أن يقول أجل يا ربّ، لقد تُؤبوا ما فعلوا، وأي عقابٍ أعظم من هذا؟! لقد انقلبت الآية، فالمُستهزئ أصبح مُستهزَّأً به، والصّاحك أصبح مضحوكاً عليه (هَلْ تُؤْتَوْنَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).

ما يجري في العالم وما جرى وما سيجري كله مشاهد أولى والمشهد النهائي في الآخرة:

أُنْهَا الإخوة الأحباب: ما يجري في العالم اليوم، وما جرى، وما سيجري، كله مشاهد أولى، والمشهد النهائي هناك، في حياتنا الأبدية، في سورة البروج فتية آمنوا بربهم، فشقّ لهم الأخدود وأحرقوا ودُفِنوا فيه، ولربما قال قائل يومها: مساكين ضاع حقهم دُفِنوا في المقابر الجماعية، لن يتعرّف عليهم أحد، وسجّلت القضية ضد مجهول، لربما أحرقوا ودُفِنوا وضاع غريمهم كما يقال، لكن المؤمن فقط يدرك أنّ هذا هو المشهد الأول من القصة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (8)

(سورة البروج)

فما هو المشهد الختامي؟ ذكره المولى فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (10) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (11)

(سورة البروج)

فالحارقون أصبحوا محروقين في نارٍ لا يَنْقُذُ عَذَابُهَا، وَشَتَّانَ بَيْنَ نارِ الدُّنْيَا وَنارِ الآخِرَةِ المؤصَّدة، وَنَاسَبَ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا: (فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمُ وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرِيقِ) أحرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَكَانَتْ تُؤَانٍ مِنَ الْأَلَمِ ثُمَّ ذَهَبُوا إِلَى اللَّهِ، أَمَّا هُمْ فَاصْبَحُوا فِي نَارٍ لَا يَنْقُذُ عَذَابُهَا (وَلَهُمْ عَذَابُ الْخَرِيقِ).
أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فِي جَنَّتِ الْخُلُودِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (89)

(سورة التوبة)

والعظيم جلَّ جلاله هو الذي يقول عن هذا الفوز إنه فوزٌ عظيم.

ما جرى في سوربة و ما يجري على أرض عِزَّة كلة المشهد الأول فقط:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَحِبَّاءُ: ما جرى في سوربة على مدار أربع عشرة سنة، كان كلة المشهد الأول من الحكاية، بكل آلامه وأوجاعه، ولقد امتنَّ الله على بعضنا، فرأى بعينه ذُلَّ الطُّعَاةِ وَالْمُجْرِمِينَ، وَلَكِنْ لَيْسَ هَذَا هُوَ الْمَشْهَدُ الْخَتَامِيُّ أَبَدًا، لَمْ تَنْتَوِ الْقِصَّةُ، مَا يَجْرِي الْيَوْمَ عَلَى أَرْضِ عِزَّة، مِنْ قِصَصٍ وَتَجْوِيعٍ وَخُذْلَانٍ وَتَأْمُرٍ، لَا يَعْدُو كَوْنَهُ لِلْحَلَّةِ الْأُولَى فِي الْحِكَايَةِ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الْأَلَامِ وَالْجِرَاحِ، الْحُرُوبِ الَّتِي نَعِيشُهَا الْيَوْمَ، وَالَّتِي نَشْهَدُ فِيهَا مِصَارِعَ بَعْضِ الْمُجْرِمِينَ، وَنَنْتَظِرُ فِيهَا مِصَارِعَ الْآخَرِينَ، كُلُّهَا مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا، لَيْسَتْ إِلَّا الْبَدَايَةُ، بَلْ لَيْسَتْ إِلَّا الثَّانِيَةُ الْأُولَى، وَمَا زَالَتْ هُنَاكَ مِشَاهِدٌ أُخْرَى، قَدْ نَرَى بَعْضَهَا وَقَدْ يَتَوَقَّأْنَا اللَّهَ، لَكِنَّا سَنَرَى الْمَشْهَدَ الْخَتَامِيَّ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى.
وَاسْمَعُوا أَيُّهَا الْكَرَامُ إِلَى الْمَشْهَدِ الْخَتَامِيِّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

{ يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟
هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ. }

(صحيح مسلم)

أَكْثَرُ إِنْسَانٍ مُنْعَمٍ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ اسْتَحَقَّ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ) صِبْغَةً وَاحِدَةً فِي نَارِ جَهَنَّمَ، تُنْسِبُهُ كُلُّ مَا ذَاقَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ نَعِيمٍ، ثُمَّ: (يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا) عَانِي الْقِصَفِ وَالْحَصَارِ وَالسَّجْنِ وَالْأَسْرِ وَالتَّجْوِيعِ وَعَلَيْنِي مَا عَانَاهُ (يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ) هَذَا هُوَ الْمَشْهَدُ الْخَتَامِيُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَسْعَى لَهُ جَمِيعًا.

الحديث عن المشهد الختامي ليس دعوة لترك الحقوق ولا للاستكانة للظالمين:

الحديث عن المشهد الختامي ليس دعوة لترك الحقوق، ولا للاستكانة للظالمين أو الاستكانة إلى الطُّغْيَانِ، حَاشَا أَنْ يَكُونَ فِي دِينِ اللَّهِ، مَا يَدْعُو إِلَى الذُّلِّ وَالْهَوَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (39)

(سورة الشورى)

ولكنها دعوة إلى التوازن أمام طُغْيَانِ الْأَعْدَاءِ، وَسِيطَرَةِ الْمَادِيَةِ الْمُقْبِتَةِ، وَتَكَالُفِ النَّاسِ عَلَى الدُّنْيَا، وَنَسْيَانِ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَالْإِيمَانِ بِعَالَمِ الشَّهَادَةِ فَقَطُّ، وَنَسْيَانِ عَالَمِ الْغَيْبِ، قَالَ تَعَالَى يَصِفُ حَالِ كَثِيرِينَ مِنَ النَّاسِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَعْلَمُونَ طَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (7)

(سورة الروم)

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تَخَطَّأَ إلى غيرنا وسيَتَخَطَّى غيرنا إلينا فلتنخذ حذرنا، الكَيْس من دان نفسه وعمل لِمَا بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمتَّى على الله الأمانى، واستغفروا الله. الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

همسات ورسائل سريعة من أجل امتحانات طلابنا وطالباتنا:

أيُّها الإخوة الأحياء: امتحانات طلابنا وطالباتنا على الأبواب، وهذه همسات سريعة ورسائل سريعة.

الرسالة الأولى إلى أبنائنا وبناتنا: اجتهدوا وابدلوا وسعَّكم واستفرغوا طاقتكم وعلِّقوا قلوبكم بالله، فهو وحده الذي يشرح الصدور ويُسِّر الأمور، توكَّلوا على الله واقربوا التوكَّل بالأسباب، بالجد والاجتهاد والعمل، فإنَّ العبد إذا توكَّل على ربِّه شرح له صدره وبشَّر له أمره.

الرسالة الثانية إلى أولياء الأمور: هي أيامٌ معدودات أيام الامتحان، فكونوا فيها سنداً وعوناً لأبنائكم، لا عباً مضاعفاً، هَيِّئُوا لأبنائكم جواً من الراحة والسكينة والدعاء، والبُعد عن المقارنات التي تجرح القلب وتكبير النفس، ابن عَمَّك وصل إلى كذا وأنت لم تصل، هذا ابن خالك أصبح طبيباً وأنت ضعيف، ابتعدوا عن المقارنات التي تجرح القلوب وتكبير النفوس، لا تضغطوا عليهم بما لا يطيقون، انتهى العام، الآن امتحانات جو من السكينة والهدوء، فكلُّ طاقته ولكل نمطه، والله يفتح على عباده بقدر ما يشاء.

نالتاً: إلى من لديه جيران عندهم امتحانات، إلى الباعة الجوالين، من يُحيطون بمراكز الامتحانات، اتقوا الله في أبنائنا، وراعوا خصوصية الوقت والمكان، خُصَّصوا أصواتكم وتجنَّبوا أماكن الامتحان، لتتاح الفرصة للطلبة لأداء امتحاناتهم بيسرٍ، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَجْلُوْا سَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْخَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْخَرَامَ يَتَّبِعُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا خَلْتُمُ قَاصِطًاوَلَا تَجْرِمَكُمُ سَنَانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُم عَنِ الْمَسْجِدِ الْخَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۖ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِنْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (2)

(سورة المائدة)

رابعاً: إلى المراقبين والمراقبات وما أدري إن كان بيننا مراقبون والله يراقب الجميع، أنتم مؤتمنون على الأبصار والقلوب، لكن لا تكن رقابتكم جافَّة ولا صارمةً إلى الحدِّ المؤذي، بل بالرفق والحزم والحكمة والاعتزان، امنعوا الغش لكن بحكمٍ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{ يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

وبعد ذلك إلى المُعلِّمين المُصَحِّحِينَ للأوراق والمُصحِّحات، إِنَّ القلم الذي بأيديكم شهادة وأمانة، وإنَّ الخطأ فيه قد يكون هدماً لطموح أو إطفاءً لشغف، فراجعوا بعين الانصاف، ووازنوا بميزان العدل، واذكروا أنَّ في الورقة تَقَسَّاً وطالباً وجهداً يُذِل، وسهراً كَيْبً وطالباً ينتظرون نتائجهم، فراعوا حقَّ الله في تصحيح هذه الأوراق.

الدعاء:

اللهم اهْدِنَا فيمن هديت، وعافِنَا فيمن عافيت، وتولَّنَا فيمن تولَّيت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عَنَّا شَرَّ ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، فلك الحمد على ما قضيت، ولك الشكر على ما أنعمت وأوليت، نستغفرك اللهم وتوب إليك، اللهم هبْ لنا عملاً صالحاً يُغْفِرُنَا إليك.

اللهم يا واصل المُتقطعين صلنا برحمتك إليك.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

اللهم برحمتك عُمَّنَا، واكفنا اللهم شَرَّ ما أهَمَّنَا وأعَمَّنَا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة توقُّناً، نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا، واجعل أسعد أيامنا يوم نلقاك وأنت راضٍ عَنَّا، أنت حسْبنا عليك اتكالنا.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تُنَجِّيَ المُستضعفين من المؤمنين، اللهم أنجِ المُستضعفين من المؤمنين.

اللهم مُجْري السحاب، مُنْزِل الكتاب، هَازِم الأحزاب، سَريع الحساب، اهزم الصهاينة المُعتدين وَمَن والَهُم وَمَن آيَّدَهُم وَمَن وقف معهم في سَرٍّ أو علن.

اللهم أهلكنا في عِزَّة، أهلكنا في فلسطين، أهلكنا في كل مكان، كُنْ لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيِّداً وأميناً.

أطعم جائعهم، واكسُ عريانهم، وارحم مُصابهم، وآوِ غريبهم، واجعل لنا في ذلك عملاً مُتَقَبَّلاً وسهماً صالحاً، واغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ أَمناً وأماناً لبلادنا وسائر بلاد المسلمين، وَفَقِّ القانمين على بلادنا لما فيه مرضاتك، وللعمل بكتابك وبسنة نبيِّك صلى الله عليه وسلم، أقول ما تسمعون وأستغفر الله، والحمد لله رب العالمين.